حوار

حين تصل إلى مراكش، المدينة الحمراء، ستحسّ بالضرورة أنكَ في مدينة ثقافة وفن وتاريخ وحضارة. هذا الإحساس لا ينتاب المثقف والفنان فحسب، بل يتسرب مع هواء المدينة الدافئ إلى داخل كل زائر وسائح. خلال الدورة الأخيرة من «مهرجان قصيدة النثر» التي اختتمت أخيراً التقينا بواحد من الرموز الثقافية الراهنة للمدينة، الدكتور محمد آيت لعميم، المترجم والباحث المنشغل بقضايا النقد الأدبي، وأحد الذين يذهبون إلى الأدب بتلكَ الروح المرحة والمنسابة والهاربة في الآن ذاته من فكرة التصنيف الضيق أو الاختباء وراء زاوية نظر محدودة. فقد أفرد كتاباً عن المتنبي، منتصراً فيه لجماليات الأدب العربي القديم، وفي الآن ذاته خصص بحثه لنيل الدكتوراه عن قصيدة النثر، محتفياً بالكثير من الأسماء الشعرية الجديدة. ولم يمنعه انشغاله بالأدب العربي قديمه وحديثه، عن الانفتاح على الأدب العالمي عبر تخصيص كتابين

المترجم والناقد المغربي غارقاً في «متاهـ
محمد آيت لعميم: هجرة الشعراء إلى

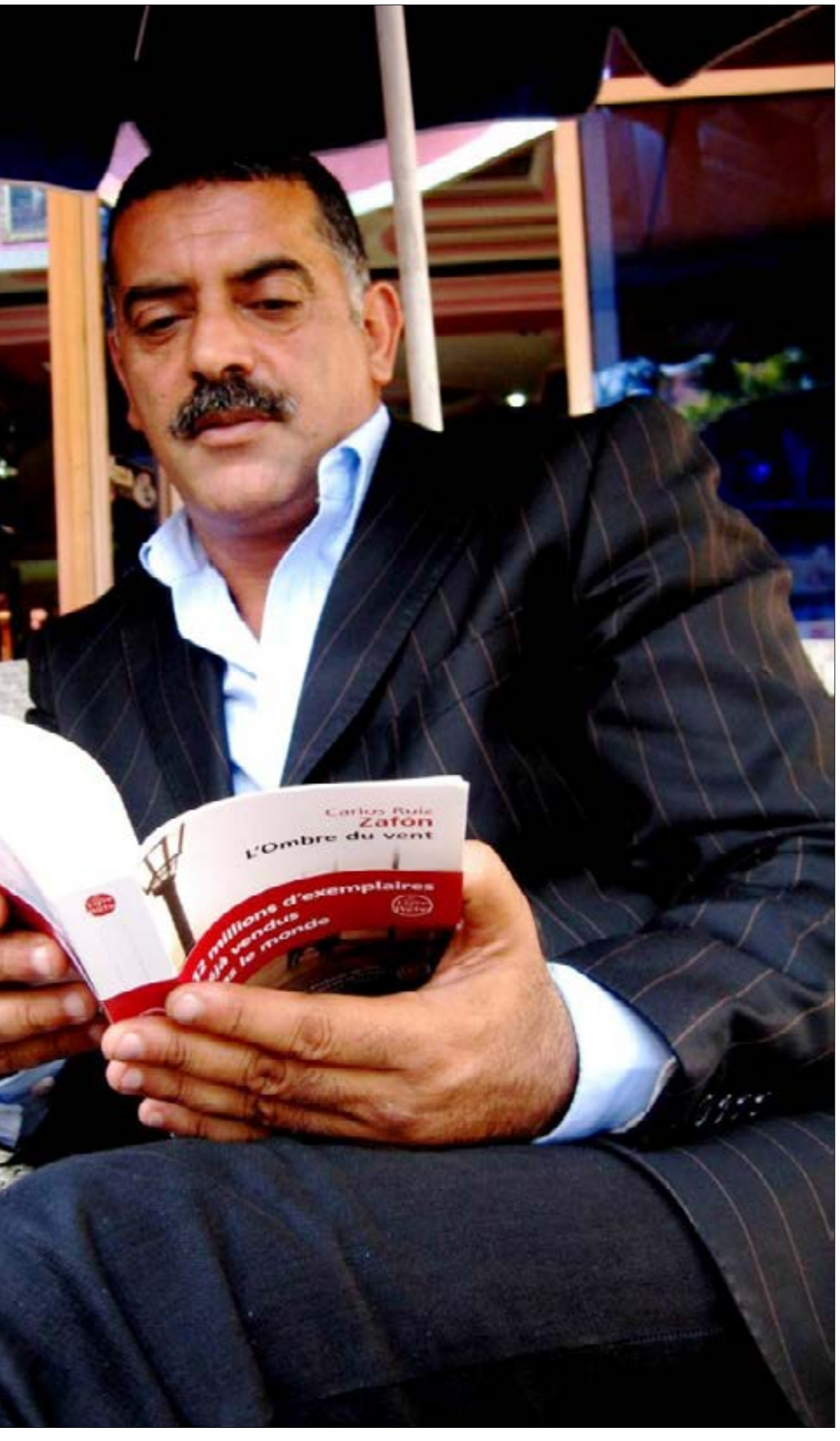

مراكش – **عبد الرحيم الخصار**

■ لنبدأ من كتابك الجديد «بورخيس صانع المتاهات» (المركز الثقافي العربي . 2017)، وكنت قد أفردت له كتاباً آخر قبل سنوات، ما هي دوافع اختيار بورخيس؟

أنجزت كتابين عن بورخيس الأول نشرته عام 2006 وكان عنوانه «بورخيس أسطورة الأدب»، والثاني بعنوان «بورخيس صانع المتاهات» صدر أخيراً عن «المركز الثقافي العربي». هذا الاهتمام بهذا الكاتب الساحر والفريد من نوعه مردّه إلى أنني وجدت فيه شيئاً منّي. كلانا عاش في مكتبة أبيه، وأعجبت بموسوعيته، إذ لدي نزوع جبلي إلى الموسوعية والإدمان على القراءة. لما وقعت يدي عام 1983 في مكتبة «جامعة القاضي عياض» في مراكش على كتابه «محاضرات»، واطلعت على محاضرته حول «ألف ليلة وليلة»، أدركت للتو أنني أقرأ لكاتب ذي ذكاء ملتهب يعرف وجهته أثناء القراءة، ويقود القارئ إلى أرض مجهولة، ويتقن فنّ السؤال حول مسائل لا تخطر على بال القارئ. إنه فعلاً يعلم الذكاء. وجدت فيه شيئاً من الجاحظ، وموسوعيته، وانتحال النصوص وتزييفها، والاهتمام بالحيوانات الواقعية والمتخيلة وتبجيل الكتب والمكتبات. فبورخيس تولى إدارة المكتبة الوطنية في بيونس آيرس، وكان وقتها قد دخل عالم الظلال والعتمات، فقد وصف حالته في قصيدته «الهبات»: أعطاني الظلام والكتب. والجاحظ الذي أتخيله وقد برزت عيناه من فرط التحديق في الكتب، كان يبيت في دكاكين الوراقين. يلتهم الكتب ويقلي النصوص ويفتشها، فكانت نهايته وسط الكتب وقد انهالت عليه. فقد ساقت الأقدار صاحب الروح الفكهة إلى أن يموت داخل مكتبته. ما جعلني أهتم بهذا الكاتب المؤثر في كل من جاء بعده، أنه جمع أشياء تفرقت في أسلافنا، وكان لديه اهتمام بالغ بثقافتنا. فيه موسوعية الجاحظ، وملحمية المتنبي (فقد استشهد ببيتين للمتنبي) وريبية المعري (كلاهما تخيلا الجنة مكتبة ونادياً أدبياً)، تحدث بورخيس عن الغزالي وابن رشد وعن إخوان الصفا وعن «منطق الطير» لفريد الدين العطار. وكان تأثره بـ «ألف ليلة وليلة» حاسماً. هذا الكتاب الخالد الذي يشتمل على كل اللغات والثقافات والزمن كله، سيستخلص منه جوهر مذهبه في كتابه الذي يتمحور حول محو شخصية الكاتب الذي يتحول إلى نساخ، وأن الكتابة ما هي إلا إعادة كتابه داخل مكتبة متاهية شبيهة بالأدراج وبالدمى الروسية. كل هذه الأفكار أوحيت له من خلال تأملاته الدقيقة في معمار «الليالي». في كتابي حول بورخيس، سيجد القارئ العديد من الأفكار حول قصص بورخيس ومقالاته وحواراته وشعره. لقد كان لقائي مع زوجته ماريا كوداما عام 1996 حاسماً في إنجاز كتاب عن بورخيس وعوالمه الذكية والغنية، فهي التي حفزتني للكتابة عن زوجها الذي زار مدينتي مراكش مرتين في 1975 وعام 1985، وحدثته نفسه بالإقامة فيها لأنه وجد في ساحة جامع الفنا تجسيداً لأحلامه الطفولية. وهو الذي كان يوقع مقالاته في بدء أمره اسمين بمرجعية مغربية وعربية: المعتصم المغربي، وأبو القاسم الحضرمي.

■ الكتاب في جزء كبير منه هو بمثابة ترجمات لمقالات كتبت عن بورخيس، وفي الصدد ذاته يأتي سؤالنا عن راهن الترجمة في المغرب، وأنت طبعاً أحد المترجمين عن اللغة الفرنسية. هل أنت مطمئن لحركة الترجمة في المغرب؟ سواء الترجمة النقدية أو الأدبية؟

عرفت الترجمة حركية في الثمانينيات، وكان ممارسوها من الجامعة، وكانت منصبة حول ترجمة النقد والمناهج النقدية. وقد أحدثت هذه الحركية تميزاً في الممارسة النقدية وتحليل النصوص. ظهر ذلك جلياً في فتوحات عبد الفتاح كيليطو حول أشكال السرد القديم، ومحمد مفتاح في تشريحه للنصوص الشعرية القديمة والحديثة، وفي قراءات أحمد اليابوري، ومحمد برادة للنصوص الروائية. جاء بعدهم نقاد آخرون هضموا المناهج المرتبطة بالبنيوية واللسانيات وعلم النص والخطاب، وبالدراسات المرتبطة بالمتخيل والمندمجة مع الأفكار الفلسفية، سواء التفكيك عند دريدا، أو ما ترجم من أعمال لهيدغر، وأيضاً ما ترجم من أبحاث سيميائية. كل هذا أسعف النقاد والدارسين أن يكتسبوا مهارات في تحليل النصوص، فمن نقاد هذه المرحلة نذكر القمري بشير الذي فكك رواية «التجليات» للغيطاني، ومحمد علوط الذي اشتغل على المتخيل، وتمكن من التعاطي مع نصوص مستعصية كما فعل مع شعر بنطلحة. ومن النقاد الذين ينحتون اسمهم بتؤدة وعمق فكري، هناك الناقد خالد بلقاسم الذي استفاد كثيراً من الإرث الصوفي ومن فلاسفة الاختلاف وأفاد من فتوحات هيدغر وموريس بلانشو، ووظف كل ذلك في قراءة النص الشعري المغربي وشعر أدونيس. إن حركية الترجمة النقدية ميزت النقد المغربي بالغور والتدقيق في المفاهيم واكتساب مهارة عالية في التحليل. وهناك ميزة أخرى أن النقد المغربي يسعى إلى أن يكون أدباً، لا خطاباً واصفاً في أفق إنشاء خطاب إبداعي، وهذه سمة جعلت المتتبعين في العالم العربي يقرون للمغاربة بعلو كعبهم في هذا المضمار. إن ترجمة النصوص المؤسسة في النقد والمناهج والأدب (نصوص الشكلانيين الروس، جاكبسون، بنفنيست، رولان بارت، جوليا كريستيفا، تودوروف، أصحاب نظرية التلقي، ميشيل فوكو، أعمال أمبرتو إيكو، خورخي بورخيس) أحدثت نظرة مغايرة للأشياء. لكن يبدو كما لو أنّ هذه الظاهرة قد انحسرت، ولم نعد نسمع أو نرى مثل هذه الأعمال اليوم. وإذا كانت الترجمة قد حققت بعضاً من